الطبيعة في شعر أحمد حقي الحلي (١٩١٧م ــ ١٩٩٩م)

حسين عطية علوان السلطاني
جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
Husseinalsltany61@ gmail.com

الخلاصة

يهدف البحث الى معرفة أشعار الطبيعة التي جادت به قريحة شاعر الطفولة العراقي د. أحمد حقي الحلي،التي توزعت على الطبيعة بشقيها، فقال وأبدع في الصائتة،وابتكر أوزانا فريدة كان رائدا فيها لمن جاء بعده من الشعراء كمشطور المتقارب في قصيدة غزالي ومشطور المتدارك في قصيدة وطني وغيرها،وبذلك أصبح رائدا لشعر الطفولة للفترة من١٩٣٠م الى ١٩٤٠م بما أجادت به قريحته وابتكاراته الوزنية ، وما ميله الى الطبيعة إلا لإنها تستهوي الطفولة بل وتأخذهم الى عوالم المتعة والترفيه،وتجذب خيالهم وتستحوذ على قلوبهم.كذلك مال الى الطبيعة الصامتة فأنطق صمتها وحرك جماداتها،فبلغ بها ماتستحق من القول الشفاف والنظم اللطيف، وبذلك شكل ظاهرة فريدة في تلك الحقبة البعيدة أي بعد تسع سنين من تأسيس الدولة العراقية .

الكلمات المفتاحية:الطبيعة،شعر أحمد حقي الحلي،الطبيعة الصائتة،الطبيعة الصامتة،الكائنات الحية المتحركة.

Abstract

The research aims to find out notice nature which including by thetalent poet childhood Iraqi .

Dr.ahmed myright or naments whichwere distributed thenature with two type .hesaid and creative in . he invented aunique 0zana and was apioneer in it for which came after him from the poets as awell- versed person in apoem of ghazali and as scattered catchy in anatinal poem and others . thus becoming apioneer of childhood poetry fortheperiod from 1930 ad to 1940 ad including qaritha the and his creative in novations. and his love for nature only because it fascinates childhood also take them to the worlds of fun and enter tainment. their imagination captures their hearts. he also turned to the silent nature. so that he could speakits silence and move its jaws . so it deserves the right to say tran sparent and gentle systems. and thus formed aunique phenol men on in that distant any after nine years the establishment of theiraqi state .

Keywords: nature, poetry of Ahmad my right ornaments, nature hunter, silent nature, animated living organisms.

تمهيد حياة الشاعر

نبذة مختصرة عن حياة الشاعر أحمد حقي الحلي (١٩١٧ م ــ ١٩٩٩م)

ولد في مدينة الحلة مركز محافظة بابل سنة ١٩١٧ م ، في البدء كان معلما في مدرسة تطبيقات دار المعلمين الابتدائية في بغداد، وبعد ثورة ١٩٥٨م تم تغيير اسم دار المعلمين العالية الى كلية التربية ، وفي الستينيات كان الدكتور أحمد حقي الحلي تدريسيا في جامعة بغداد كلية التربية قسم التربية وعلم النفس [١]، وبحكم عمله التربوي فقد استهواه شعر الأطفال، لذا كان رائدا في ترطيب أشعاره بندى الطبيعة بشقيها، حين بدأ في كتاباته الشعرية الطفلية لأول مرة، ما بين عامي ١٩٣٠ الى ١٩٣٣م [٢]، إذ شكل ظاهرة بارزة في ذلك الحين،حازت على السبق من جهة والعرفان ممن لحق من جهة أخرى ، فقد أوقف جل أشعاره الطفلية عند الطبيعة، وأطلق لها العنان بحيث شكلت الطبيعة بشقيها ثلثي ديوانيه وهما(المحفوظات الطفلية الجزء الأول والثاني) .

لذا فهو أول من أنسن الطبيعة وابتكرلها أوزانا لم يسبق أن طُرقت من قبل لدى شعراء الطفولة في العراق والوطن العربي كمشطور المتقارب في قصيدة غزالي ومشطور المتدارك في قصيدة وطني وغيرها، وبسبب هذه الظاهرة البارزة،والإبتكارات الوزنية ، والسعة والتنوع في المواضيع الهادفة التي بثها في ثنايا أشعاره، أصبح رائدا لشعر الطفولة للمدة من ١٩٣٠م الى ١٩٤٠م بما أجادت به القريحة التربوية النبيلة،وما ميله الى الطبيعة إلا لإنها تستهوي الأطفال بل وتأخذهم الى عوالم المتعة والترفيه ، وتجذب خيالهم وتستحوذ على قلوبهم،وأكثر مايشدهم فيها تلك الطيور والحيوانات الأليفة التي تميل الى براءة الطفولة وتقودها الرغبة في اللعب معهم ، لذا كان الشاعر راصدا دقيقا لكل مظاهرالمتعة والألفة المتأتية من تلك الحركات المتبادلة، فسطرها مقطوعات وقصائد رقيقة عذبة تسابق ألفاظها معانيها ، بعدما سرّح النظر في رياضها النضرة وأغصانها المزهرة .

أما أهم ماألفه هذا الشاعر المربي هو المحفوظات الطفلية الجزء الأول والثاني التي طبعت في مصرسنة ١٩٥٤م، ولم تتوفر لدينا معلومات كافية عما لديه من مؤلفات أو أشعار وجدانية أخرى عمل في أخريات أيامه مديرا للمناهج والكتب والإمتحانات في وزارة المعارف العراقية آنذاك(وزارة التربية حاليا) .

تمهيد :الطبيعة لغة ،اصطلاحا

الطبيعة لغة واصطلاحا

الطبيعة لغة: (جمع طبائع) مجموع المخلوقات التي تشكل الكون [٣]

اصطلاحا:يكاد العرف الاصطلاحي بين النقاد والدارسين يستقر على أن شعر الطبيعة يتناول قسمين رئيسين:

١ــ الطبيعة الصائتة: ويقصدون بها ما اشتملت عليه:

الطبيعة من الكائنات الحية المتحركة ذات الصوت سوى الإنسان وذلك كأنواع الحيوانات والطيور المختلفة ؛ لأنه ما من كائن حي منها إلا وله صوت مميز مهما تقاربت صوره وأنماطه .

٢ــ الطبيعة الصامتة : ويقصدون بها ما اشتملت عليه الطبيعة من ثلاثة أنواع ؛ وهي :

أ- الجمادات الطبيعية المختلفة سواء ما سكن منها؛ كالأرض وجبالها وكثبانها وسفوحها ووديانها وما تحرك كالنهار والبحار والغدران والجداول والمحيطات وبقية المائيات .

ب-النباتات المختلفة وما يتصل بها: كالرياض، والبساتين، والأزهار والأشجار والثمار، إلى غير ذلك

جـــ - الظواهر الطبيعية المختلفة: كالشمس والقمر والنجوم والكواكب،والرعد والبرق والرياح والنار والليل والنهار، والربيع والخريف والشتاء والصيف .. الخ

وقسم بعض الدارسين الطبيعة الصامتة إلى: طبيعة طبيعية - وهي ما أشرنا إليها- وأخرى صناعية وهي التي يرجع إلى الإنسان فضل تأليفها وتنسيقها كالقصور والبرك المائية ، والنوافير والنقوش المرمرية والتماثيل البديعة، وغير ذلك من كل مظاهر الجمال المصنوع . [٤]

المبحث الأول : دراسة موضوعية، الطبيعة الصائتة

١ــ الطبيعة الصائتة:اشتملت قصائد الشاعر أحمد حقي الحلي ومقطوعاته على ألفاظ الطبيعة الصائتة مثل (القط ، العجوز والدجاجة،هزار ليلى، البلبل، الخنفساء والحمار، الأرنب والجرذ) ففي قصيدة (لعبة القطط)[٥] التي يقول فيها :

دعنا نمشي قربَ الشطِّ امشِ امشِ امشِ امشِ
مثلَ القطِّ مثلَ القطِّ امشِ امشِ امشِ امشِ

قدّم أنشودة لتعليم فهم الأفعال ومنها(إمشِ) التي كررت في البيتين ، والإكثار من التكرار المقطعي المتمثل في كلمة (إمشِ) وهذا بدوره يعطي الترنم الصوتي شحنة وضّاءة من المتعة والتذوق اللامحدود لأن فيه رجوعاً الى شيء ما وإعادته وعطفه، فحرف الشين من الأصوات المهموسة[٦] في اللغة العربية إذ كرره الشاعر المربي عشر مرات(ثمان في كلمة إمش فضلا عن كلمتي نمشي، الشط) فكأن الشاعر يهمس في آذانهم همساً رخواً منفتحاً بضرورة فهم الإفعال والتناغم مع مايطلبها فعلها من أداء في الحركات، وتكرار الشين بهذه الكثرة يسمى تكرار حرفي ف ((تكرار الحرف الواحد الذي هو من بنية الكلمة وهذا النوع من التكرار لايقتصر دوره على مجرد تحسين الكلام ،بل انه يمكن ان يكون من الوسائل المهمة التي تلعب دورها العضوي في اداء المضمون،والترديد للحرف الواحد موجود في شعرنا القديم وفي الشعر الانجليزي))[٧] أي يجعل من الحروف التي تؤدي معنى مع غيرها من الكلمات توفر أبعادا تكشف عن حالة الشاعر النفسية ، وتقذف في آذان السامع لذة ومتعة .

فكيف إذا أضيف له المقطع الثاني الذي قال فيه :

فرأى سدّاً طفرَ السّدا اطفرْ اطفرْ اطفرْ اطفرْ
ورأى نهراً فيه بطٌّ اسبحْ اسبحْ اسبحْ اسبحْ

كرر فعلين(اطفرْ، اسبحْ) ليعطي تأكيداً على أهمية هذين الفعلين ،لأن فيهما إخباراً عن صدر البيتين، فالتكرار((أحد علامات الجمال البارزة،وهو مصدر دال على المبالغة من (الكر)، ويراد به التكثير في الافعال)) [٨] ، فحرف الراء من الأصوات المجهورة [٩] وعند النطق بها كأنها تشير الى الخطر وتحذر منه، لأن الراء شديد منفتح تكراري، أما الحاء فهي من الأصوات المهموسة[١٠] التي تأخذ بهدوء رنينها أذن سامعها وتبلغه فحوى ماتريد .

ورأى فأراً هجمَ القطُّ اهجمْ اهجمْ اهجمْ اهجمْ
ورأى جذعاً صعدَ الجذعا اصعدْ اصعدْ اصعدْ اصعدْ
سقطَ الجذعُ كُسرَ الضلعُ ضلعي ضلعي ضلعي ضلعي

وفي هذا نوع من التسلية أثناء التمثيل به ، وهو في الوقت ذاته يساعد على تلفظ المفردات المذكورة ، وبتكرارها لأربع مرات يتطوع لسان الطفل تدريجيا ، على لفظها لفظاً صحيحاً ، تمهيداً لمعرفتها وتعلمها ثم إدراك معناها؛لأن الهدف الأسمى الذي يسعى الشاعر لتحقيقه،هو الهدف التعليمي بلا شك ((والتكرار لايقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، وإنما ماتتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والإنفعالي ، ومثل هذا الجانب لايمكن فهمه، إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الشعري الذي ورد فيه)) [١١]، فالميم والدال والياء من الحروف المجهورة [١٢] التي تولد اهتزازاً في النفس قبل اهتزاز الأوتار الصوتية بها فكأنها تخرج أنّات المرء وقد كسر ضلعه لأنه صعد الجذع ، وفي هذا تحذير للنشء من اللعب في الأشياء الخطيرة لأن ذلك سيتبعهم بالألم والوجع المؤذي.

أما قصيدة (العجوز والدجاجة) [١٣] التي قال فيها :

دجاجتي دجاجتي فقدتها واحسرتي
كانت لديَّ منيتي وسلوتي في وحدتي

فإن التكرار الإستهلالي(دجاجتي) والعناية الفائقة بالقافية في صدر وعجز البيتين، رفع من قوة الجرس الموسيقي ورنينه وتأثيره في إذن الطفل، وهذا يعد عاملاً مساعداً قوياً في جذب الذهنية المتفتحة للتذوق والتعلم من قبل الطفل ((وقد يكرر الكاتب المعطى الواحد، عشرات المرات، بل ويذكر بدائله ومترادفاته كلها ليزيد ذلك كله من ثراء النص،وإيماءاته الماكرة الموحية الغنية، ولن تكون المسألة هنا سقوطاً في دائرة أخطاء المبتدئين، بل على العكس هى تعبر عن تمكن هائل ، وقدرة على الخروج عن الأقانيم والقوانين التقليدية الصارمة للكتابة)) [١٤] ، ثم يقول :

ربيتها صغيرةً بذُرتي وحنطتي
حتى اذا ماسمنتْ فقدتها وانكبتي

إلفة الاطفال للطيور والحيوان،جاءت من خلال إلفة أهلهم لها ، لذا فان حسرة هذه العجوز على دجاجتها طالت لفقدها؛لأنها كانت منيتها، وسلوتها في وحدتها في البيت ، فقد أطعمتها من ذرة وحنطة لكنها فقدتها ، وهذا تصوير مؤلم للعلاقة القوية بين البشر وما يألفه في حياته اليومية بعد أن امتدت أواصر المحبة بينهما لسنين خلت، واختيار التاء قافية لهذه القصيدة وهي من الأصوات المهموسة[١٥] يبرز بقوة شدة الألم وتأثيره على النفس البشرية عند فقد الأشياء العزيزة، وهذا التنـــــاسق يدعمه السياق اللفظي في(وانكبتي) التي خطت طريق الفهم للنشء وشدة ذائقته إليه .

وذكر في قصيدة (هزار ليلى) [١٦] قائلا:

أختي الصغيرةُ ليلى تحبُّ طيرَ الهزارِ
هو السميرُ لليلى في الليلِ أو في النهارِ

مصوراً محبة ليلى لطير الهزار(البلبل) وحالة المسامرة معه ليل نهار، فهو يعمل على توظيف شدة تعلق الصغار بالطيور وولعهم بها، الى تصوير فني ، يداعب مشاعر الصغار ويؤنسهم، وبذلك تلتحم الطفولة مع إحدى مكونات الطبيعة الممتعة وتتحول الى تداخل روحي بينهما ، الى حد ابتعاد الخوف عنهما معا، فالطير يأكل من كف الطفولة بلا رعب أو هلع، فحرف الراء من الأصوات المجهورة [١٧]
التي عند النطق بها كأنها تشير الى حدة الصوت في النهار، وهي تجاري حركة الخلق فيه حتى :

إذا رآها يغنّي بكلِّ لحنٍ جميلِ
غناؤه العذبُ أحلى من النسيمِ العليلِ
كما أحبته ليلى أحبّها بالمثيلِ

فتبادل الحب فيما بينهم دليل ألفة متبادلة، سكنت في روحيهما معا، فاللام صوت مجهور[١٨] يتناسب ذكره مع حالة الغناء التي يشدو به الطير، فتمد القول بالترنم وتجاريه بالتنغم ، ودوام المحبة يستدعي الغناء كإحدى الوسائل التعبيرية عن الفرح والغِبطة .

إن الجمال الحقيقي لدى الشاعر (يبدو كما لو كان حلماً لذيذاً ينمي في قلبه الاحساس بجمال الوجود وطيفاً تطارده اللغة والأحاسيس، وخيالا ممتعا يأخذ القلب الى ما وراء الممكنات جميعا فهو يرى أن الطبيعة تعيش حياة الطهارة كالملائكة البريئة ، كالوردة البيضاء،كأغاني الطيور، كثلوج الجبال، التي ترمز كلها الى النقاء الداخلي الغريب من حيث الجوهر عن عالم المادة) [١٩] .

وعندما ذهب الشاعر إلى إحدى الرياض صور في قصيدة(البلبل)[٢٠] ما يراه من حركات وماسمعه من أنغام قائلا:

فوقَ الغصونِ بلبلٌ غنّى وراحَ يلعبُ
أنشودةِ الفجرِ تلا لها القلوبُ تطربُ

وتلك علاقة أزلية بين الغصون والطيور منذ بدء الخليقة ، فلولا تلك العلاقة لجف ينبوع المرح وأصبحت الحياة جرداء لايزورها الفرح ، وأنشودة الفجر هي إيماء الى أحد القصدين الأول: صياح الديك الذي يبشر بالفجر دائما، والثاني: أنها تتهيأ لطاعة الله بلغة الإنشاد وكلاهما راجح . لذا فإن

الأملُ الحلو غدا من فمه منسكبُ
جماله مزدهرٌ وريشـــــهُ مذهّبُ

فالأمل تسرب الى هذا البلبل فانساب كالقطر من فمه ، وهذا من باب أنسنة الطبيعة واستنطاقها، لذا وردت في أشعار العرب غالبا معالم الطبيعة ، فكان منها وصف الرياض بأزهارها وورودها وأشجارها وطيورها وأصناف الرياحين فيها،ووصف أصواتها التي أثرت بجمال سحرها على الأذن البشرية ،التي ضاقت ذرعا في كل الضجيج من حولها ، فأطالت التأمل في هذا الصوت وله قالت :

وصوته الحلو لنا من النسيمِ أعذبُ
كم صفّقَ الغصنُ له والوردُ مصغٍ طربُ
إنْ عجبَ الناسُ به فاللحنُ منه أعجبُ

فالإنسان مغرم بصوت البلبل، وتشتد به الرغبة لدوام سماعه طمعا بحلاوة ترنمه، وتهزه اللذة والمتعة بترديده ، فالطبيعة تستثير العواطف وتحرك الخيال، كل ذلك جعل الشعر يضفي عليها محاسن وشيه وروائع بدائعه، فصوت البلبل أعذب من النسيم ، والغصن صفق له،أضفى جمالاً وتذوقاً في أذن النشء، ليثير رغبتهم في المتعة والتأمل في اللحن العجيب الذي يطلقه ،وهكذا تخرج الطبيعة عند الشاعر((من المادة الى المعنى ومن الصورة الخارجية،إلى الصورة المرتسمة في أعماق الشاعر، ترفعه إلى الأعالي وإلى السماوات، وتجعله يحس لحظات سعادة وكأنه أدرك الحقيقة الجوهرية في الطبيعة الأم)) [٢١] .

فالباء التي جعلها الشاعر قافية لقصيدته هي من الأصوات المجهورة[٢٢] الذي يتناسب بشدته وانفتاحه مع السياق اللفظي للأبيات .

وقال في قصيدة (الخنفساء والحمار) [٢٣]

يا خنفساءُ اختبئي فالثورُ جاءَ يركضُ
أخافُ أنْ يسحقكِ وهو لكِ كم يُبغضُ

إنَّ هذه القصة على بساطة طرحها ، تُعلّم النشء الحذر من بعض الأصدقاء الذين يثيرون العطف عليهم، لكنهم في النهاية ينكرون الإحسان المبذول لهم، فيأتون بالشر جزاء للخير الذي حصلوا عليه . فحرف الضاد من الأصوات المجهورة [٢٤]، وكأن الشاعر سمع محاورة الحمار والخنفساء فقالها

بحرف مجهور لمناسبة ذلك السياق اللفظي في التحذير، الذي يحتاج الى شيء من السرعة والدعوة للتعجيل.

هيا على ظهري اصعدي واختبئي في أذني
فصعدتْ مسرعةً فوقَ الحمارِ المحسنِ

فركوب هذه الخنفساء على ظهر الحمار الطيب، تدل على عطفه، وتخبئتها في أذنه دليل رقة كبيرة منه، وحرف النون من الأصوات المجهورة[٢٥] وكأن الشاعر أخذ من مجاهرة الحمار للخنفساء وشدة خوفه عليها

فأعطاها حرفا مجهورا لمناسبة ذلك السياق اللفظي،وماتنوعه في القوافي إلا لكي يغني الفكرة الرئيسة التي صورها ، لكن :

الخنفساءُ خدّشتْ أذنَ الحمارِ فنهقْ
بالرجلِ راحَ رافساً وقد تولاّه القلقْ

فهذه الخنفساء خدّشت أذن هذا الحمار العطوف،جفاءاً وإنكاراً للجميل،وحين آلمته رفس برجله أذنه من شدة الألم ، والقلقلة المتأتية من حرف القاف المجهور(٢٦) تناسب القلق الذي أصاب الحمار:

فراحَ يعدو راكضاً لما به من الألمْ
فعلُ الجميلِ جالبٌ في غيرِ أهله الندمْ

طيبة الحمار جلبت له الأذى ، فحينما رأى الثور مقبلاً يركض ، طلب منها أن تختبأ في أذنه ،كي لايسحقها لأنه يبغضها، وحين صعدت مسرعة،واختبأت خدشت أذنه فنهق،وراح يرفس أذنه برجله، كي يخرجها منه، لأنه أدرك أن فعل الخير في غير محله يجلب الندم ، وهذا ما أراد الشاعر إبلاغه الى النشء ، لأن حرف الميم المجهور (٢٧) يناسب القلق والألم والندم الذي أصاب الحمار.
وله في قصيدة (الأرنب والجرذ) (٢٨) قصة قال فيها :

جرذٌ قد باقَ * شحمةْ راحَ يشويها ويلعبْ
ماعتْ** الشحمةُ حالاً فغدا يبكي وينحبْ

قصة شعرية وقع فيها الجرذ ضحية عقله الذي تعود على السرقة، وبالتالي ماعت الشحمة التي سرقها ولم يصغ لصديقه الأرنب، والهدف منها منع الطفل من التعودعلى سرقة مال الآخرين،لأن النهاية ستكون الندم بالبكاء والنحيب .

واتركِ النارَ لأشوي فوقها باقةَ قنّبْ ***
فأجابَ الجرذُ : لالا إنها في النارِ تذهبْ
ماترى الشحمةَ ماعتْ كنْ حكيماً لاتجرّبْ

لاشك أن لوعة الجرذ وهو يرى الشحمة ذهبت في النار كبيرة ، فأطلق بحدة (كنْ حكيماً لاتجرّبْ) عندها :

ضحكَ الأرنبُ منه ومضى يلهو ويلعبْ
ندمَ الأرنبُ لمّا انْ رأى الباقةَ تلـــــهبْ
هكذا المغرورُ يلقى ندماً ـــــ نعمَ المـــــؤدبْ

إن للقصة الشعرية أهمية واضحة ، كونها تأخذ الطفل الى عالم السرد ، فيتابعها بلهفة وشوق كي يعرف نهايتها ويفهم فحواها، فنصح الأرنب للجرذ لم يسمع له ، بعدها ضحك الأرنب منه وراح يلعب لأنه أدرك أن الجرذ مغرور ، ولم ينفع به النصح وهذه حالة كل مغرور في هذه الحياة **** .
والباء حرف مجهور(٢٩) يتناسب مع حالة التنبيه التي حذر منها الجرذ .

٢ــ **الطبيعة الصامتة**:وتشمل (البدر الفخور، الربيع ، لعبة الربيع ، نجمة الصبح)
ينم وصف الطبيعة عن حالة من التأمل الدقيق ، وفسحة للخيال والخاطر لتبلغ مداها الواسع .

وحين تحلق الأنظار في قصيدة (البدر الفخور)[٣٠] نراه يقول :

أنا البدرُ أنا البدرُ لي المدحُ لي الذكرُ
أنا الحاكمُ في الليلِ لي النهي لي الأمرُ

إن التحدث بلسان البدر، لهو من ترف القول المحبب الذي يأخذ بعقول النشء ، وينقلهم الى عوالم وهدوء الليل وسحره الذي يدعو الى التأمل ، فسلاسل البدر الفضية تتدلى من علوه الشاهق بأمر الخالق بعناقيد الضوء البهيج تخالجها نفحات الأريج ، فتأنس بها الأرواح ، ويأخذها الإنشراح ، فالبدر في الليل هو الحاكم بحسنه على الفضاء ، وله البهاء كله . ومن فرط جماله أخذ يقول :

لي الحسنُ لي الشكرُ لي الزهو لي الفخرُ
أنا المفردُ في الكونِ أنا البهجةُ والبِشرُ
فمن بين الورى مثلي ؟ أنا البدرُ أنا البدرُ

وبالرغم من بساطة القول وحسن ديباجته ومناسبته للطفل،إلا أنه ينقله الى متعة وتخيل لم يأخذه إليه خاطره سابقا، ومن حق البدر أن يفخر وأن يزهو فهو قد تفرد بهذا الحسن والجمال والفرح بإطلالة بهية.

وبوساطة الطبيعة يتجاوز الشاعر أيامه الفردية المؤلمة من الخريف وما يبعثه فيه من لوعة وألم، التي تقف حاجزاً يعيق الاتصال بجوهر الحياة وسحرها الخلاق ، لذا فقد ذابت تلك اللوعة في خضم الطبيعة واتصلت روحه بروح الكون الفرحة الطروب ، فهو يتمنى على النشء أن يغني كما تغني الطيور في فرحة وسرور ، فالغصن مال رطيبا ، ومالت الزهور في مضاحكته.

والطبيعة عند الشاعر تشكّل بديلا يوفر شيئا من الراحة والحنان ، فهو يتمنى ان يعيش سعيدا في أحضان الطبيعة الرحيمة ، هاربا من رتابة الحياة التي يتزاحم الصخب فيها ، بعدما بسطت الأرض عليها بساطاً أخضراً من العشب ، والريح هبت وقد حملت على أكتافها أريج الرياض ، الذي غمرنا بلطفه وطيبه .

والتكرار المقطعي المتمثل بكلمة (أنا البدرُ) أضفى جمالية التأمل في البدر على النص كله ، وحرف الباء مجهور[٣١] يتناسب مع الجو العام للقصيدة برمتها .

وله في أجمل الشهور وأحلاها لدى النفوس أجمل قصيدة في (الربيع) [٣٢] قال فيها :

جاء الربيعُ فغنِّ كما تغني الطيورُ
فالغصنُ مالَ رطيباً قد ضاحكته الزهورُ
والريحُ هبّتْ وفيها من الرياضِ عطورُ

اذا أقبل الربيع ، فقل بلا تحرج قد أقبلت الحياة ، بكل ماتحمله من مظاهر الفتنة والسحر والجمال فالربيع جاء فغن ، في كل لحن وفن ، فالغصـــــن مال رقة وطراوة ، وله الزهور تضاحكت ، والأرض اخضرت بعشبها ، والريح هبت في العطور من تلك الرياض النضرة .

فأنشقتنا عبيراً فطابَ ذاكَ العبيرُ
فللطيورِ غناءٌ وللسّواقي خريرُ
أنتَ الربيعُ جميلٌ بك الهنا والسرورُ
هيّا نغني جميعاً كما تغني الطيورُ

ومنها العبير نشقنا ، والطيور أخذها شوقها في الغناء ، وجرى في السواقي خرير الماء ، فالربيع

وطن الجمال وحاضره الخصيب الذي أصبح وصفه متعة وافية (وأبرز سمات هذا الوصف التمازج بين أطياف الطبيعة بما يحويه المنظر الجميل وبين جمال اللغة ورقة الألفاظ والمعاني والتعابير الدقيقة فازدحم بصور متنوعة ملونة تمثل البيئة الطبيعية) [٣٣] .

فحالة الإرتياح للربيع والتغني بجماله وسحره غذاه حرف الراء ، فالراء صوت مجهور[٣٤] يتناسب مع تلك الإنفعالات الشعورية التي بثها الربيع وتدفق أريج الزهورالذي أعلن عن روعته ولطف براعته.

أما قصيدة (لعبة الربيع)[٣٥] فقال فيها :

اقطفْ من الروضِ ورداً وأعطِ أختي سنيّةْ
انظرُ إليها تهادتْ بحلّةٍ نرجسيّةْ

وذكاءً من الشاعر نظم لهم لعبة عن الربيع ، كي يأخذهم الى واحة الأنس والورد والآس ليلبسوا الورود فوق أجسادهم الوردية،ويظهروا بمظهر الحسن والجمال،بعدما أضفت الزهور عليهم مسحة من الروعة وحسن التناسق ، لذا أكسب الورد لأخته سنية حلة نرجسية .

ياحسنَ ثوبٍ لأختي مطرّزٍ بالأزاهرِ
بالإقحوانِ موشّى وللرياحينِ ناشرِ

****

اقفزْ ودرْ وتخطّى حولَ الفتاةِ الصغيرةْ
واهتفْ لها بسرورٍ لتحي هذي الأميرةْ

وأي ثوب تطرزه الأزاهر فهو جميل باهر، فماذا عساه سيظهر إذا توشى بالإقحوان ونشر الرياحين! وهكذا تلتحم و((تتعلق بعلاقة الشاعر العربي مع الطبيعة حيث يقول هناك "ان الجمال الطبيعي هو القسطاس العادل الذي ينبغي ان توزن فيه نفسيات الأمم وشاعريات الشعوب ليعلم ما هي عليه من قوة وضعف ومن صحة او فساد)) [٣٦] كي يدرك الحقيقة الجوهرية في الطبيعة المرحة .

بعدما ألبس ذاته حلية البهاء وأسقطها على جسد طفلة رقيقة، فتبخترت مزهوة بما عليها من الإقحوان والتاء المربوطة إذا وقفنا عليها أصبحت هاءً، لذا فالهاء حرف مهموس[٣٧] يتناسب مع حسن الحديث مع أخته سنيّة .

وفي قصيدة (الصباح) [٣٨] قال:

الطيرُ غنىّ والغصنُ مالْ
والشمسُ لاحتْ فوقَ التلالْ

****

فقمْ نغنّي جاءَ الصباحْ
فوقَ الزهورِ الندى يلوحْ

في الصباح تنهض الأحياء ، وقد أراح الليل في النوم أجسادها ، فالطير سباق في الغناء والغصن مع النسائم مال، والشمس لاحت مبهرة فوق التلال ، فقم نغني مجئ الصباح ، فالندى فوق الزهور يلوح كأنه درر تجمدت على صفحات خدود الورد الندية ، فعليل النسيم وطيب الروائح أدوات إغراء للإقبال عليه من دون عذر أو بطء .

فشمَّ منها عطراً يفوحْ
فالقلبُ أضحى رهنَ ارتياحْ

****

والزهرُ غافٍ على الغصونْ
قد داعبته الريحُ الحنونْ
والوردُ طيباً بالعطرِ فاحْ

فشم شذاها فهو يفوح ، فهي لاتزال غافية على الغصون،وقد داعبته الريح الحنون، والورد فاح بطيبه وتفتق منه شذا الأريج ، فالطيب يفتح الشاعرية ويجعله (يخاطبه وقد استعمل جمال القطر وعليل النسيم وطيب الروائح أدوات إغراء للإقبال عليه من دون عذر أو بطء) [٣٩].

والحاء حرف مهموس يتناسب مع النفوس التي تخاطب الطير وتتغنى بشدوه .

وعند قصيدة (نجمة الصبح)[٤٠] تأمل الشاعر فيها مليّاً ثم قال :

تلألئي تلألئي كما تلالا القمرُ
يا نجمةَ الصبحِ التي بحسنها نستبشرُ
على الأنامِ فاطلعي لكِ الرياضُ تنظرُ

السحر وحده هو الذي يشد الآخرين ويدفعهم للابداع ومناجات الموجودات ، ونجمة الصبح واحدة من عجائب الله ، لذا يناديها من كان أشد انبهارا بها.

أنتِ بقبَّةِ السّما كدرّةٍ تزدهرُ
اذا طلعتِ في الدُّجى يحلو لدينا السمرُ
يانجمةَ الصبحِ اسطعي حسنكِ حقّاً يبهرُ
تلألئي تلألئي كما تلالا القمرُ

فأنت بمرتفع السما كالدرة المزهرة ، اذا طلعت في ظلام الليل يحلو لدينا السمر، فحسنك المبهر أن تتلألأ كما يتلألأ القمر، ويدعوها أن تطلع على الخلق، فالرياض إليها ناظرة، وهي في الحسن ناضرة. فالراء أفرغت ما جاء به من تأملات وصور مختلفة تدافعت فيها هواجسه الندية،فخط بذلك كثيرا من أشعاره،لأن الراء صوت مجهور[٤١] وفيه شدة وانفتاح يتناسب مع النفوس التي تخاطب الطير وتتغنى بشدوه بارتياح .

المبحث الثاني / الدراسة الفنية

١ــ الأساليب البيانية: إن من أهم خصوصيات شعر الطفولة أنها تمر على اللغة البيانية مرّاً يسيراً، وذلك لقصر فهمهم لها لذا شدد العلماء المتخصصون في أدب الأطفال على الإقلال من لغة البيان((فبقدر ما تقل في النشيد أدوات البيان بقدر ما يسمو الى أعلى مراتب الاستحسان)) [٤٢] فسحر البيان بكل مجازاته واستعاراته وتشبيهاته يضفي على الشعر حلة بهية في شعر الكبار، والى تشريد الأذهان ـــ إن أُكثر منه ـــ في شعر الصغارــ لذا سنمر على اللمسات البيانية، أينما وجدت في شعر أحمد حقي الحلي دون أن نفرد لكل منهم عنوانا خاصا، وذلك لندرتها في شعر الطفولة .

ففي قصيدة (البلبل) قال: أنشودةِ الفجرِ تلا لها القلوبُ تطربُ

فقد استعار الطرب الى القلوب والأصل أن معنى(طربَ: اهتز فرحاً) [٤٣] أي اهتز الجسم كله.

وفي قوله : الأملُ الحلو غدا من فمه منسكبُ

استعار الإنسكاب الى الأمل وأصل الإنسكاب الى الماء.

وفي قوله : كم صفّقَ الغصنُ له والوردُ مصغٍ طربُ

استعار التصفيق للغصن وأصله للأكف ، ثم استعار الإصغاء والطرب الى الورد وأصل الإصغاء الى الإذان .

وفي قصيدة(الأرنب والجرذ) قال : ندمَ الأرنبُ لمّا انْ رأى الباقةَ تلـــــهبْ

وفي قصيدة (الربيع) يقول : فالغصنُ مالَ رطيباً قد ضاحكته الزهورُ

فقد استعار المضاحكة للزهور وأصلها للبشر

وفي قصيدة (لعبة القطط) قال: مثلَ القطِّ مثلَ القطِّ امشِ امشِ امشِ امشِ

طلب من الصغير أن يمشي تشبيها مثل القط

المبحث الثاني/الدراسة الفنية ، الأساليب البيانية

وفي قصيدة (البدر الفخور) قال : فمن بين الورى مثلي ؟ أنا البدرُ أنا البدرُ

أي أن البدر يقول من مثلي أي شبيهي

وفي قصيدة (نجمة الصبح) قال: أنتِ بقبَّةِ السّما كدرّةٍ تزدهرُ

أي شبه نجمة الصبح بالدرةِ لأن الكاف للتشبيه

٢ــ الموسيقى الشعرية

أــ ا لوزن:كان الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي ــ رحمه الله ــ متمكنا من الأوزان الشعرية بل بارع في ابتكار أوزان جديدة لشعر الأطفال كمشطور المتقارب في قصيدة غزالي ومشطور المتدارك في قصيدة وطني فضلا عن مجزوءات البحور الصالحة التي استعملها وهي:

*ــ **مجزوء الرجز:**نظم عليه أكثر قصائده (العجوز والدجاجة ، البلبل ، الخنفساء والحمار ، نجمة الصبح) وعلى منهوك الرجز المرفل نظم قصيدة الصباح .

*ــ **المجتث:**نظم عليه ثلاث قصائد (هزار ليلى ، الربيع ، لعبة الربيع)

*ــ **الهزج:**نظم عليه قصيدة البدر الفخور

*- **مجزوء الرمل:**نظم عليه قصيدة الأرنب والجرذ

*ــ **المتدارك:**نظم عليه قصيدة لعبة القطط

ب ــ القافية : تخير الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي ــ رحمه الله ــ قواف سهلة تستمتع بها الطفولة، فمنها من كانت على قافية واحدة، ومنها من أشرك فيها أكثر من قافية، لذا سنذكرها حسب كثرة الإستعمال:

أ ــ **الراء :**نظم عليه قصائد عدة (هزار ليلى، الربيع ، لعبة الربيع ، البدر الفخور، نجمة الصبح، لعبة القطط)

ب – الباء: نظم عليها (البلبل ، الأرنب والجرذ) ــ

ت ــ اللام :نظم عليها (هزار ليلى ، الصباح) ــ

ث ــ الحاء:نظم عليها (لعبة القطط ، الصباح) ــ

ج ــ الميم :نظم عليها (لعبة القطط ، الخنفساء والحمار) ــ

ح ــ النون:نظم عليها (الصباح ، الخنفساء والحمار) ــ

خ ــ الشين ، وقد نظم عليها لعبة القطط

د ــ الدال ، وقد نظم عليها لعبة القطط

ذ ــ العين ، وقد نظم عليها لعبة القطط

رــ التاء ، وقد نظم عليها العجوز والدجاجة

زــ الضاد ، وقد نظم عليها الخنفساء والحمار

س ــ القاف ، وقد نظم عليها الخنفساء والحمار

الخاتمة والنتائج

تبين لنا خلال البحث النتائج التالية :

كان الشاعر الدكتور أحمد حقي الحلي ــ رحمه الله ــ ميالا الى حب الطبيعة بشقيها (الصائتة والصامتة) بشكل كبير، وأحب أن يبث هذه المحبة للأجيال اللاحقة،عبرالتنقل بين طيورها وحيواناتها البرية والأليفة ورياضها الندية ، فكان مجيدا في كثير منها ، ويمكن تلخيص تلك الإجادة بما يلي:

١ــ إن أول شاعر كتب عن الطيور ـــ في العراق ـــ هو الشاعر الرصافي في نشيد أغرودة العندليب(٤٤) سنة١٩٢١م التي أثارت في وقتها اعتراضات كثيرة، من أدباء مرموقين في الوسط الأدبي كالزهاوي إلا أنه لم يتبعه بنشيد ثان الى سنة ١٩٣٠م، أما أول من كتب أناشيد عن الحيوان ــ في العراق ــ فهو الدكتور مصطفى جواد سنة ١٩٢٣م في نشيد الهر والفيران(٤٥)، إلا أنه لم يتبعه بنشيد ثان الى سنة ١٩٣٠م،وحين كتب الشاعر أحمد حقي الحلي في سنة١٩٣٠م(محفوظاته الطفلية بجزء يها) أكمل ستاً وعشرين محفوظة خالصة عن الطبيعة فيهما ، وبذلك سجل سبقا في التنوع وظاهرة بارزة في العراق والوطن العربي .

٢ــ هو أول من أنسن الطبيعة وجعل منها متعة للطفولة ومسرة لاتنقطع ومنحها الألفة والمحبة بينهم.

٣ــ ابتكر أوزانا لم يسبق أن طُرقت من قبل لدى شعراء الطفولة في العراق والوطن العربي كمشطور المتقارب في قصيدة غزالي ومشطور المتدارك في قصيدة وطني وغيرها .

٤ــ السعة في المواضيع الهادفة التي بثها في ثنايا أشعاره ، وبذلك أصبح رائدا لشعر الطفولة للمدة من ١٩٣٠م الى ١٩٤٠م،لما ذكرناه آنفا ، وبما أجادت به القريحة التربوية النبيلة .

٥ــ مال الى الطبيعة لإنها تستهوي الأطفال بل وتأخذهم الى عوالم المتعة والترفيه ، وتجذب خيالهم وتستحوذ على قلوبهم ، وأكثر مايشدهم فيها تلك الطيور والحيوانات الأليفة التي تميل الى براءة الطفولة وتقودها الرغبة في اللعب معهم .

٥ــ كان الشاعر راصدا دقيقا لكل مظاهر المتعة والألفة المتأتية من تلك الحركات المرحة مع الحيوانات الأليفة، فسطرها مقطوعات وقصائد رقيقة عذبة تسابق ألفاظها معانيهاعن الطبيعة ، بعدما سرّح النظر في رياضها النضرة .

٦ــ كان اهتمامه في الطبيعة مشجعا لمن جاء بعده في أن يحذو حذوه ، ويسلكوا طريقه ، ليثروا شعر الطفولة في هذا الجانب الممتع ، فزادوا عليه وتوسعوا في الأوزان.

المصادر والمراجع

ذكر ذلك لي د، عدنان العوادي عميد كلية الآداب سابقا، جامعة بابل،في مقابلة شخصية معه في ٢٠١٣/١٢/٣٠م

ثقافة الاطفال د هادي نعمان الهيتي،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقـــــافة ، الكويت ١٩٧٨م : ٢١٤

المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون،تحقيق:مجمع اللغة العربية ، مصر، د ت : ٣٣٧ ٤ـــ مفهوم شعر الطبيعة وموضوعاته في الشعر العربي،دراسة جلال صابر حجازي/ جامعة المدينة العالمية ، شبكة الإنترنيت ، ٢٠١١ م : ١

المحفوظات الطفلية،جـــ١، ج٢،الدكتور أحمد حقي الحلي، دار المعارف ، مصر،١٩٥٤م: ١٤/١

البناء الصوتي للغة العربية المستخدمة في البرامج الإخبارية بتلفزيون السودان القومي ، إطروحة دكتوراه ، عائشة ميرغني عبد الرحيم ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ٢٠١٠م :٨٢

موقع مركز كلكامش للدراسات والبحوث الكوردية ، التكرار: أهميته وأنواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة ، علي اسماعيل حمة الجاف ٢٠١٢ م : ٧

المصدر نفسه: المقدمة

البناء الصوتي للغة العربية : ٨٢

تهذيب اللغة،أبو منصور محمد الأزهري،تحقيق:عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر، د ت : ٥١

المتخيل السردي(مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة) د عبد الله ابراهيم، الدار البيضاء المغرب – بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٩٠م : ٤٣

المصدر السابق

المحفوظات الطفلية ، الدكتور أحمد حقي الحلي: ١/ ١٨

مفهوم التكرار في الأدب والفن، د أمجد ريان، بحث منشور في شبكة النت،منتدى القصة العربية،٢٠٠٧م :١

تهذيب اللغة :٥١

المحفوظات الطفلية : ١/ ٢٢

المصدر السابق

المصدر نفسه

ابو القاسم الشابي والهيام بالطبيعة والحرية والجمال ، الدكتور مثير توما ، دراسة على شبكة الإنترنيت، موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ، ٢٠٠٤ م :١

المحفوظات الطفلية : ١/ ٣٢

مفهوم شعر الطبيعة وموضوعاته في الشعر العربي : ٩

تهذيب اللغة : ٥١

المحفوظات الطفلية : ١/ ٣٨

تهذيب اللغة : ٥١

المصدر نفسه

المصدر نفسه

المصدر نفسه

المحفوظات الطفلية :٢/ ٤٠ ـــ ٤١

*ــ باق: كلمة عامية، تعني: سرق ولو قال(سرق الجرذ لشحمة) لصحت لغة ووزنا، وتجنب العامية.

**ـــ ماعت،الأصل اللغوي لها هو(معَّ) معًّا، الزبدة ذابت:المعجم الوسيط: ٥٢٥

***ـــ نبات ينتج ليفا متينا تصنع منه الحبال،المصدر:المعجم الوسيط :٤٣٦

****ـــ امتنعنا عن دراسة مقطوعة الشاعر التي سماها (النسر الصغير) وكذلك (النحلة ، الفراشة الذهبية) لأن أوزا نها خارج دائرة البحور الموافقة لشعر الطفولة .

تهذيب اللغة : ٥١

المحفوظات الطفلية : ١/ ٤٠ ــ ٤١

المصدر السابق: ٥١

المحفوظات الطفلية : ٢/ ٢٤ ـــ٢٥

الطبيعة في الشعر الأندلسي ، بحث منشور في شبكة النت ، ٢٠١٦م :١

تهذيب اللغة : ٥١

المحفوظات الطفلية:٢/ ٣٠ ـــ ٣١

ابو القاسم الشابي والهيام بالطبيعة والحرية والجمال، الدكتور مثير توما: ٣

تهذيب اللغة : ٥١

المحفوظات الطفلية :٢/ ٣٦ ــ٣٧

الطبيعة في الشعر الأندلسي : ١٢

المصدر السابق :٢/ ٤٢ـــ ٤٣

تهذيب اللغة : ٥١

أناشيد دينية، القاهرة،١٩٣٧، وأناشيد وطنية، القاهرة، ١٩٣٩، محمود ابو الوفا، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٧٧: ٦ــ٧

المعجم الوسيط : ٣٣٨

مجموعة الاناشـــيد المدرســـية، معروف الرصـــافي، جامعها وناشرها خليـــــل طوطح، القدس ١٩٢١م :٧

مجلة التلميذ العراقي ، سعيـــد فهيم ، مطبعة دار السلام ، بغداد ،١٩٢٢م ، العدد٢٢ :٣٤٧